اغتيال زميله كمال عدوان العام ١٩٧٣. ولم يمنعه انشغاله في تنظيم القتال في الوطن المحتل من مواصلة الاعتناء بقوات الخارج، حيث تولى ادارتها أبان انتقالها الى لبنان خلال الحرب الاهلية ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، وأصر على تطوير وتنويع تسليحها ليشمل المدافع بعيدة المدى وراجمات الصواريخ والدروع والصواريخ الموجهة. ورافق هذا التوجه الداخلي نمو مستمر في المكانة الدولية؛ اذ كرر «أبو جهاد» زياراته، على رأس الوفود الفلسطينية المشتركة، الى دول أوروبا الشرقية ويوغسلافيا والهند وباكستان وكوريا الشمالية وفيتنام والصين الشعبية. وهو الذي قام، بعد كل انتكاسة، في الداخل أو الخارج، باعادة بناء الشبكات السرية، وبارسال المجموعات القتالية، لاعادة تثبيت الوجود الفلسطيني المقاتل. فعمل، خاصة منذ العام ١٩٨٢، على رعاية «لجان الشبيبة» داخل الارض المحتلة، التي لعبت الدور الطليعي وشكلت العمود الفقري للانتفاضة الراهنة. وكما في بنائه الدائم الصبور، فقد عبر «أبو جهاد» عن رؤيته الاستراتيجية للصراع مع العدو الاسرائيلي بتنظيم العديد من العمليات الخاصة التي اجتازت حدود فلسطين البحرية والبرية منذ العام ١٩٧٤، وتنشيط العمليات السرية داخل الارض المحتلة، بلا كلل، تحت شعار ضرورة الاصرار على مواصلة الطريق واثبات الحدث الفلسطيني المستمر (**فلسطين الثورة**، ٢٤/٤/١٩٨٨؛ **والسفير**، ١٨/٤/١٩٨٨؛ **وبيروت المساء**، ٢٥/٤/١٩٨٨؛ **ولوموند**، ١٨/٤/١٩٨٨).

ولعل استشهاد ٢٠ فلسطينياً في الارض المحتلة، واندفاع ما يزيد على نصف المليون مواطن لمواكبة جثمانه الى مثواه الاخير في دمشق، هو خير دليل على تعميم قناعاته بين اوسع جمهور.

الانتفاضة الفلسطينية المقاتلة

اشتدت المظاهر العسكرية للصدام المستمر في الارض المحتلة في الآونة الاخيرة، بعد اكتساب طابع الحرب الصريحة اثر اطلاق حرية المستوطنين الصهيونيين باستخدام الاسلحة ضد المتظاهرين وزيادة حجم تواجد الجيش الاسرائيلي وتأكيد سياسة اطلاق النار على قاذفي القنابل الحارقة «مولوتوف». وقد ثبت مدى انتشار ونجاعة «القوات الضاربة» للانتفاضة التي تقذف الحجارة وزجاجات المولوتوف من الكمائن المتحركة على السيارات والدوريات والمخافر المعادية، عبر وصول العدد الاجمالي للحوادث المنفصلة الى ٨٢ بين ٢٠ آذار (مارس) و ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٨٨، علماً بأن نصف الحوادث المذكورة، على الاقل، قد شهدت مهاجمة اهداف متعددة (**فلسطين الثورة**، ٣١/٣ و ٧ و ١٧ و ٢٤/٤/١٩٨٨). وانعكست شدة الاضرار التي لحقت بمؤسسات العدو في تأكيد شركة «ايجد» الاسرائيلية ان ٥٠ باصاً قد اصيبت منذ اندلاع الانتفاضة، منها ٢٧ احرقت تماماً (**المصدر نفسه**، ١٧/٤/١٩٨٨). وقد رد وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، وقادة الجيش، في ٢٠ آذار (مارس)، على الموجة الآخذة في التعاظم وفي الانتظام للهجمات الفلسطينية، عبر اعتماد سياسة هدم منازل رماة المولوتوف (**السفير**، ٢١/٣/١٩٨٨).

كما تجسّدت المواجهة المتنامية بارتفاع وتيرة سقوط الشهداء والجرحى بين المواطنين الفلسطينيين خلال الفترة ذاتها، حيث انضم ٦٧ شهيداً جديداً الى القافلة، ليزيد المجموع العام على ١٧٠ حتى ١٩ نيسان (ابريل)، منهم ٢٠ سقطوا خلال الاحتجاج على اغتيال «أبو جهاد». لكن افراد العدو تعرضوا، أيضاً، للاصابات. فبالاضافة الى عشرات الجنود الذين اصيبوا بفعل الحجارة وقنابل المولوتوف، تعرض رقيب نظامي في الجيش الى القتل بواسطة مسدس، في أثناء قيامه بالحراسة داخل مدينة بيت لحم، في ٢٠ آذار (مارس). كما تعرض ضابط في القدس و جندي في غزة للطعن، في الاول والخامس من نيسان (ابريل) على التوالي. وقد سعت القيادة الاسرائيلية، في هذه الاثناء، الى استعادة السيطرة الامنية داخل المناطق المحتلة عبر سلسلة من الاجراءات، وخصوصاً اثر فشل اساليبها السابقة وعقب استقالة اكثرية افراد الشرطة العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة (**الغارديان**، ٢٣/٣/١٩٨٨). وظهرت تلك الاجراءات، بوضوح، عشية ذكرى «يوم الارض»؛ اذ تم عزل المنطقتين، كلياً، عن العالم، فيما تمت تعبئة أربعة الاف شرطي لمعاونة الجيش في حفظ الامن (**السفير**، ٢٩/٣/١٩٨٨). ولجأ الجيش الاسرائيلي، أيضاً، الى اقامة المنشآت التمهيدية للقواعد الثابتة